الجمعية الشرعية الرئيسية
لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية
المقيدة بالإدارة المركزية للجمعيات والاتحادات
بوزارة الشئون الاجتماعية برقم ٢١ لسنة ١٩٦٧
المقر المؤقت بجوار دار الإفتاء بالدراسة
تليفون : ٥٩١٠٢٩٨ - ٥٨٨٨٠٨٧

منهج الجمعية الشرعية
بين التأصيل الشرعى والتطبيق العملى

بقلم
الأستاذ الدكتور
محمد المختار محمد المهدى
إمام أهل السنة
والرئيس العام للجمعيات الشرعية
والأستاذ بجامعة الأزهر

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيد الدعاة وصفوة خلق الله **محمد** بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه .

أما بعد ،

فلما كان البيان واجبًا على الدعاة والمرشدين ، إذ هم نـواب عن النبى الأمين ، وقد كُلف صلى الله عليـه وسـلم مـن رب العالمين بأن عليه البلاغ المبين .. ولما كان لهذا البيان أثره فـى تثبيت أقدام الرواد والتابعين ، وصد هجمات المغرضين والضالين لما كان هذا وذاك استشعرتُ المسئولية نحو الجموع المباركة التى أقبلت على الجمعية الشرعية تباشر من خلالها أنشطة : **الدعوة ، والعمل الصالح** ، قبل أن تستوعب المنهج الذى تبنـاه مؤسسـها وإمامها المبارك المحقق المجدد الشيخ/ محمود محمد خطاب السبكى فى هذين المجالين .. وقبل أن تدرك ظروف النشـأة ، ومسـار

الدعوة ، وما آلت إليه فى هذا العصر ، وما ينبغى أن تقوم به من جهد ، وما وضع على أعناق أعضائها من تبعة ، أمام هذه الهجمات الشرسة من أعداء الدين والحياة ، أولئك الذين يتآمرون على الإسلام فى داخل الأمة وخارجها .

ففى الداخل تنمو جماعات المنافقين الموالية لأعداء الله يبلبلون أفكار العامة ، ويحاولون بشتى الوسائل سلخ الأمة من هويتها ، ومميزاتها ، وقيمها ، وأصولها العقدية والدعوية .

وفى الخارج يضطهدون كل ما هو مسلم ، ومن هو ملتزم ، ويصمونه بالإرهاب والإفساد لقيمهم المنفلتة من قيود الفضيلة والأخلاق ، ويتخذون ذلك ذريعة للقتل وسفك الدماء ، وتعذيب الأطفال والنساء ، وهدم المنازل على الأبرياء ، وتجريف المزارع ومنع الغذاء ، وسحق النشء الغض البرىء تحت عجلات الدبابات سواء كان ذلك فى فلسطين ، أو فى الشيشان ، أو فى كشمير ، أو فى السودان ، فملة الكفر واحدة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ .

من أجل ذلك كان هذا الكتاب ، توضيحًا للعقيدة والمنهج ، وإبرازًا لما توصل إليه أئمتنا من طرق الإصلاح ، ومنافذ العمل الجاد المثمر للإسلام والمسلمين ، **دون أن نخاصم أحدًا يعمل للإسلام بمنهج آخر** ، فنحن لا ندعى أننا الوحيدون على الساحة فى ميدان الدعوة والإصلاح ، **إنما نعرض منهجنا** ، ونمد أيدينا للتعاون على البر والتقوى ، وعلى سلوك الصراط المستقيم ، ذلك الذى دعانا إليه رب العزة فى قوله سبحانه : ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

ومن الله نستمد العون والسداد ونسأله الهداية والرشاد

إمام أهل السنة
والرئيس العام للجمعيات الشرعية

أ.د/ محمد المختار محمد المهدى
الأستاذ بجامعة الأزهر

تمهيد

ظروف النشأة لهذه الجمعية

في الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري ، عاشت مصر مِحَنًا قاسية من جراء الاحتلال الإنجليزي ، ومحاولاته الدائبة لتغريب شعبها ، وسلخه من هويته ومبادئه وقِيَمه ، ومقتضيات دينه ، وحضارته ، وسلوكياته التي تميز بها عبر القرون الإسلامية الزاهرة ، وقد اتخذ المستعمر لذلك عدة وسائل :

(١) منها تنحية التشريع الإسلامي عن حكم الحياة ، وتذرع في ذلك بتنوع الآراء في المذاهب الإسلامية المختلفة ، واستطاع بالترغيب والترهيب أن يحل محل هذا التشريع القوانين الغربية التي تحمل في طياتها قيمًا غريبة عن الإسلام والمسلمين ، تضيّق منافذ الحلال ، وتفتح الأبواب على مصاريعها للحرام .

(٢) ومنها تغيير مسار التعليم ومناهجه السائدة لدى المسلمين على مدى القرون السابقة ، حيث كان المسلمون يأخذون من إشارة

القرآن الكريم للمنهج النبوى فى تعليم الأميين خطة عمل متكاملة ، فكانوا يبدأون فى تربية أبنائهم بإدخالهم الكتاتيب التى يسمعون فيها كلام الله ، ثم يحفظونه ، ومعه أحاديث الرسول ﷺ والقواعد الأساسية لعلوم الشريعة واللغة العربية ، ثم ينطلقون بعد ذلك التحصين ، يتخصصون فى مجالات العلم المختلفة ، وكان ذلك نتيجة فهمهم لقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1] .

واستطاع المستعمر أن يحيط الكتاتيب بهالة من النقد اللاذع ، والسخرية الهادفة إلى صرف الناس عنها ، وإدخال أولادهم المدارس الحديثة ، التى تُعنى باللغة الإنجليزية ، وتُهمل فيها العلوم الدينية والعربية ، وتقتصر مهمتها على تخريج الكتبة والموظفين .

---

(١) سورة الجمعة ، آية رقم ٢ .

(٣) ومنها ربط الاقتصاد المصرى بقيود ، تجعله تابعًا ومستجديًا للمنح والهبات ، وتتيح لهم نهب ثروات مصر وخيراتهـا ، واستثمارها لديهم فى المصانع والمؤسسات .

(٤) ومنها تحريض النساء على الرجال ، حتى تتفكك روابط الأسرة المسلمة ، ويظل التطاحن داخل الأسرة بين الرجل والمرأة ، نتيجة الإيحاء لها بأن من حقها التبرم ، والتفلت من قيود العفة والفضيلة فى الملابس ، وفى التبرج وإثارة الشهوات ، وغرروا بالنساء حتى رفعوا شعار تحرير المرأة ، مما قضى على المحضن الصالح لجيل يتربى وسط وئام ومودة ورحمة ، أراد الله أن تكون آية من آياته فى تشريع الزواج .

(٥) ومنها منع حفظة القرآن الكريم من الالتحاق بالجيش ، بحجة تكريمهم ، وإبعادهم عن الإهانة فى الخدمة العسكرية ، والهدف الأساسى ألا يكون فى الجيش من يتحمس للجهاد ضد هذا العدو الغاصب ، ومن منطلق أن هؤلاء هم الذين يستطيعون أن يبثوا فى نفوس الجنود استشعار الرغبة فى الشهادة دفاعًا عن الإسلام وعزة المسلمين .

(٦) ومنها التهوين من شأن الأزهر وعلمائه ، حتى لا تكون لهم كلمة مسموعة لدى الشعب ، كما كان فى عهد الحملة الفرنسية ، حين كانت الثورات ضد المستعمر تنطلق من الأزهر .

(٧) ومنها العمل على توهين الرابطة بين أقطار الأمة المسلمة ، ومحاولة القضاء على الوحدة الإسلامية ، وقد اشتهر عنهم مبدأ " فرق تسد " ، فأشاعوا النعرات القومية والقطرية والعرقية ، وأحيوا الانتماء إلى الفرعونية ، والفارسية ، وترددت فى جنبات العالم الإسلامى شعارات تدعو إلى انغلاق كل قطر على مشكلاته وأحواله ، فمصر للمصريين ، وسوريا للسوريين ، وليبيا لليبيين ، وهكذا ، حتى لا ينهض قطر فى الدفاع عن أخيه فى حالة التهام المستعمر لهم واحدًا بعد الآخر ، وفى سبيل ذلك ، قامت الصهيونية العالمية بدور خبيث فى إلغاء الخلافة العثمانية ، مستغلة ما كان فى سياسة هذه الدولة من بعض المظالم ، ومظاهر الغطرسة والإهمال .

(٨) ومنها تشجيع البدع والخرافات ، التى التصقت بالإسلام من خلال الطرق الصوفية ، والإسرائيليات المندسة فى كتب

التراث ، والأحاديث الموضـوعة الداعيـة إلـى التكاسـل والتواكل وكان هذا التشجيع بهدف إلهاء الناس عن التفكيـر فى سياسة الظلم والقهر والذلة والنهب والتغريب .

فى هذه الفترة الحالكة ، وأمام هذه السياسة المضللة الظالمة ، والقوة القاهرة التى لم تقابلها قوة رادعة ، استسلم بعض الساسة ، وتبعهم المنافقون ، وبدأوا يسيرون فى فلك المستـعمر ينـادون بالإصلاح على طريقة الغرب ومناهجه وحضارته ، متخذين من قوته العسكرية ، وتقدمه المادى حجة فى ضرورة السـير خلفـه حذوك النعل بالنعل ، وظهر من ينادى بالإصلاح على خطـوات كانت الخطوة الأولى منها توحيد القضاء المصرى على القـوانين الفرنسية ، والخطوة الثانية والتى لم تتحقق حتى الآن – ونـدعو الله ألا تتحقق – توحيد التعليم وإلغاء الأزهر ، وتطوير المنـاهج التعليمية على النسق العلمانى الذى يفصل الدين عن واقع الحيـاة وتربية الأجيال .

وكان من رحمة الله بهذا الشعب المؤمن أن قيض لـه مـن العلماء الفاقهين من رأى أن المسلمين يُدفعون دفعا إلى نفق مظلم

تنطفيء فيه أنوار السماء وتساق الرعية فيه مغمضة الجفون بلا إرادة إلى أن يكونوا عبيدا يسامون من أسيادهم سوء العذاب ، ويستخدمونهم في أغراضهم الدنيئة : ينهبون خيراتهم ، ويستنفدون طاقاتهم في خدمة أسيادهم ويشيعون الفاحشة بين شبابهم وفتياتهم ويفتحون أبواب الدعارة على مصراعيها جهارًا نهاراً ، ويمارسون عليهم ما تدعو إليه أحقادهم الدفينة التي توارثوها من أسلافهم المهزومين من صلاح الدين ومن الخلفاء الراشدين .

وكان من رأى الحكماء أن ما حدث لم يكن ممكنا حدوثه لولا ما أصاب المسلمين من وهن وضعف في إيمانهم ، وما شاب هذا الإيمان من بدع وخرافات التصقت بالدين ، وصرفت همم المسلمين عن اتخاذ أسباب القوة التي كانت كفيلة بصد هذه القوى الخارجية ، وسحق هؤلاء الخونة المنافقين الذين ساعدوهم وآزروهم .

واتجه هذا الفريق إلى التربية الدينية الصحيحة ، وتنحية البدع والتقاليد والخرافات التي ألصقها المغرضون بشعائر الإسلام من أيام الفاطميين الذين استهدفوا صرف طاقات المجتمع

وهممه فى مجال يشغلون به عن التفكير فى المظالم التى يرتكبونها فى حق الأمة .

ومن هذا الفريق المصلح الملهم المجدد الراشد والعالم الفاقه الإمام الشيخ/ محمود محمد خطاب السبكى الذى تكاملت عنده الرؤى ، وفقه الواقع ، مع ما حصله من علوم الدين – بعمق وأصالة – من معينه الصافى حينذاك فى الأزهر الشريف ، وما تميزت به شخصيته من تطبيق كل ما تعلمه من أحكام شرعية على نفسه أولا ، ثم على أهل بيته وأحبابه وزملائه منذ بدأ طلب العلم .. فكان بذلك أهلا لأن يلهمه الله عز وجل أن يكوّن جمعية دعوية مستقلة ، تحمل علم التعاون فى بناء الشخصية المسلمة السوية على منهج السلف الصالح ؛ إيمانا منه بأنه " **لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها** " .. وسماها " الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية " إشارة واضحة وشعارا ملزما يحتم على المنتمين إليها استشارة الشرع الحنيف واستصحاب توجيهاته وأحكامه فى أى تحرك إصلاحى سواء كان دعوة إلى الله أم كان عملا صالحا يسد ثغرة ، أو يرفع حرجا ،

أو يضيف إلى قوة البنيان لبنة ، ثم هى جمعية تتبنى التعاون بين القوى الفاعلة والنفوس الصافية ممن حوّل الأقوال إلى أفعـــال ، ممن نجا من الإزدواجية بين ما يعتقد وما يباشره فى دنيا الواقع ، ممن رضى بالإسلام دينا وبالقرآن منهجا ودلــيلا ، وبمحمـــد ﷺ سراجا منيرا .

ذلك أنه ما أخر المسلمين وما أضعف كيانهم إلا كثرة الكلام وقلة العمل ، وكم من عالم أحاط بتعاليم الإسلام وحقائقـــه ولـــم ترتفع همته إلى تطبيق ما تعلمه ، ودعوة غيره إلى ما استبصره .

لذا أصر الشيخ المؤسس على أن يتضمن اسم الجمعية هدفها ليتنحّى عن مسيرتها أصحاب الشعارات الرنانة والجذابـــة ثـــم لا ترى منهم إلا كلاما معسولا لا يصدقه جهد مبـــذول ، أو عمـــل راشد مقبول .

تاريخ نشأتها ووضع قانونها وأغراضها :

تأسست هذه الجمعية المباركة فى غرة المحرم مـــن العـــام الواحد والثلاثين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة المصطفى ﷺ ، الموافق للحادى عشر من ديسمبر من العام الثـــانى عشـــر بعـــد

التسعمائة والألف من ميلاد المسيح عليه السلام ، فكانت بذلك أول جمعية منظمة تدعو إلى إحياء السنة وإماتة البدعة ، فاستحق مؤسسها بأن يطلق عليه أتباعه " **إمام أهل السنة** " .

وحتى تنطلق مسيرتها بعيدة عن نوازع الانحراف عمد - رحمه الله - إلى وضع الضوابط والقوانين التى تضمن استقامتها على الطريق السوى ، (وكان ذلك قبل أن تضع وزارة الشئون الاجتماعية نظم الجمعيات الأهلية) .

ولم يشأ - رحمه الله - أن يستقل بوضع هذا القانون فأشرك معه أفاضل العلماء حيث يقول عنه : " ولقد فكر طويلا جمع من أفاضل العلماء فى إبراز جمعية لا عمل لها إلا التعاون على البر والتقوى عملا بنحو قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ " ، ثم يقول : " فتمَّمُوا ما فكروا فيه على صورة لا تصل إليها يد عابث ولا تقف أمامها حيلة محتال ، وسموها " الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية " ، ووضعوا أساسها ورتبوا نظامها وسنوا قانونها " ثم قال : " فمن ينتسب لهذه الجمعية لابد أن يكون التعاون مبدأه ، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ديدنه ،

وأن يكون رجلا ذا رأى وفكر يستطيع أن ينتخب من له قدم فـــى عمل الخير وهمة فى دعوة الناس إلى الخير " .

وتولى - رحمه الله - بما كان له من خبرة قضائية - وضع هذا القانون فى إطاره التنظيمى موزعا علـــى مـــواد منضـــبطة مفصلة حتى تنطلق المسيرة على هدى وبصـــيرة ، وقـــدم لهـــذا القانون مسوغات تكوين هذه الجمعية مما آل إليه حال الأمة حيث قال فى **مقدمة هذا القانون** :

[لقد علم القاصى والدانى ما وصلت إليه حال الأمـــة الإسلامية من الذلة بعد العزة ، والجهل بعد العلم ، والفقر بعد الغنى والتفرق والانقسام بعـــد الاتحـــاد والإئتلاف ، وما ذلك إلا لانصرافهم إلـــى اللـــذات وحب أكابرهم للشهرة ، وعملهم بآرائهم فـــى كـــل شىء حتى فيما يتعلق بأمور الآخرة ، فغيّروا وبدّلوا حتى شوّهوا محاسن الدين غيـــر أن الله ســـبحانه يقيض للأمة فى كل زمن مـــن ينـــذرها ويـــذكرها بتعاليم دينها ويلفت نظرها إلى ما حدث من بـــدع ، وما ذهب من سنن ، ويحثهم على إعادة ما درس ، وتشييد ما هدم]

وهنا يستشعر الحاجة إلى بيان ما يطلب من المسلمين لإعادة ما درس ، وتشييد ما هـدم ، فيذكّر بالبـذل والتضـحية ، كمـا فعـل الصحابة من المهاجرين والانصار فيقول – رحمه الله – : " فهل لكم أيها العاملون بالسنة المحمدية إلى أن تكونوا كما كـان أصحاب النبى ﷺ أيام بدء الإسلام فقد روى البخارى عـن أبـى مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال : " كان رسـول الله ﷺ إذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل (أى يحمل علـى ظهره سلعا ويبيعها ليكسب ما يتصدق به) فيصيب المدّ فيتصدق به " ، وإن لبعضهم اليوم لمائة ألف مُدّ ولا يتصدق .. وهل لكـم أيها الموسرون إلى أن تنفقوا كما أنفق أبوبكر وعمر وعثمـان .. هل لكم أيها المطمئنون فى دياركم أن تفعلوا كما فعل الأنصـار بالمهاجرين حتى يتم الله نوره ولو كره الأشحّاء " .

ثم حدد فى هذا القانون أغراض الجمعية بما يأتى :

[١ – نشر التعـاليم الدينيـة الصـحيحة والثقافـة الإسلامية لإنارة العقول وإنقاذ المسلمين من فاسد

المعتقدات ، وخسيس البدع والخرافات ، بموالاة الوعظ والارشاد ، من رجـال عرفـوا بـالعلم والعمل .

٢ – فتح مكاتب لتحفيظ القرآن الكريم ، ومـدارس لتعليم أبناء المسلمين أحكام الدين وآدابه وسائر المواد المقررة فى المدارس الأميريـة تعليمـا يتمشى مع روح العصر ولا يتنافى مع مبـادئ الدين .

٣ – إنشاء المساجد لتقام فيها الشعائر الدينية طبـق ما جاء به الدين القويم ، وتُعلّم فيهـا العامـة أحكام الدين .

٤ – إصدار مجلة دينية لنشر الموضوعات الدينيـة والأخلاقية والأدبية وغيرهـا ، ودفـع الشـبه والطعون التى توجه لدين الإسلام الحنيف .

٥ – طبع ونشر ما يرى نافعا ومساعدا فى تثقيـف العقول وتهذيب النفوس من المؤلفات الدينيـة وغيرها .

٦ – إعانة المنكوبين والبائسين ممن ينتسبون إلى الجمعية ولاسيما من لا يتمكن من العمل بمهنته لتمسكه بدينه .

٧ – إيجاد مستشفى لمعالجة فقراء المسلمين ونشر المبادىء الدينية بينهم .

٨ – القيام بنفقة تجهيز موتى المسلمين الفقراء ، وإعداد مقابر شرعية لمواراتهم ما استطاعت الجمعية إلى ذلك سبيلا .

٩ – تضامن كل من ينتسب إلى الجمعية فى التعامل بحيث ينحصر تعاملهم فيما بينهم على حسب الإمكان ليأمنوا من غش الأجانب وتطمئن قلوبهم للتعامل .

١٠ – لا تتعرض هذه الجمعية للشئون السياسية التى يختص بها ولى الأمر .]

وبالتأمل فى هذه الأغراض يتأكد لكل منصف مجرد أن ما تقوم به الجمعية الآن لا يخرج قيد شعره عن هذه الأغراض العامة ، وأن القائمين عليها – بحمد الله – لم يغيروا ولم ينحرفوا

فى قليل ولا كثير عما قرره الإمام المؤسس منذ أكثر من تسعين عاما ، ولهذا حفظها الله من كيد الكائدين واتهام المغرضين .. كما يشعر بأن الأسباب التى من أجلها قامت هذه الجمعية أولا مازالت قائمة الآن ، فمن ينكر ما تعانى منه الأمة الإسلامية اليوم من الذلة والجهل والفقر والتفرق والانقسام ؟! ثم من ينكر أن الخلل هو ما شخصه الإمام فى انصراف الكثير منهم إلى اللذات المادية وحبهم للشهرة ولو على حساب الدين ، وعملهم بآرائهم وأهوائهم حتى فى أمور الآخرة ؟!!

هذا ومن أروع ما تضمنه هذا القانون أنه يحصر التعامل والتعاون بين المسلمين ويحذر من الاتصال بالأجانب الكافرين ويضع العقوبة لمن لم يلتزم بهذا المبدأ فيقول : " فإن تعامل العضو مع أجنبى لغير ضرورة نصح له أولا ، فإن عاد عرض أمره على مجلس إدارة الجمعية ليقرر ما يراه بشأنه "،وكأن الإمام يتحدث الآن إلى فروع الجمعية أن يحذروا من التعامل مع الارساليات الأجنبية التى تدعى أنها جاءت لمساعدة الفقراء وهى فى الحقيقة تقدم هذه المعونات توطئة لتخريب عقائد الأمة وقيمها وأخلاقها .

تضمن هذا القانون فى نهايته أحكاما تمثل الأُطُر العامة التى تحكم سلوك أعضاء هذه الجمعية ، ونصائح وارشـادات تمثـل السلوك الأمثل للدعوة إلى الله .

فأما الأحكام فتتلخص فيما يأتى :

[**أولاً** : مبدأ الجمعية التوكل على الله تعالى ، والأخذ فى الأسباب سنة من سنن رسول الله ﷺ ، فلا تقبل الجمعية من نبذ الكسـب وراء ظهـره ، واتخذ الكسل والخمول عادة له .

ثانيًا : الجمعية متبر ئة من كل امريء تحصل منه فظاظة وشدة على خلق الله تعالى ، ومن كل من يتدخل فيما لا يعنيه .

ثالثًا : لو ثبتت خيانة على أى فـرد مـن أفـراد الجمعية فى دين أو دنيا ، أو حصل منه فعل مخالف لمبادىء الجمعية ، أو صدرت عليه أحكام قضائية مخلة بالسمعة والشرف أحاله مجلس الإدارة على لجنة المحكمين (هيئـة

كبار العلماء) للنظر فى أمره ولها معاقبتـه بما تراه من تعنيف أو مقاطعة أو فصله من الجمعية ، ويكون قرارها فى ذلك صـحيحا ونافذا إذا صدر من الأغلبية المطلقة لعـدد أعضاء اللجنة .

رابعًا : المناقشة فى الجلسات تكون غاية فى الهدوء والسكينة ، وعلى كل عضو ألا يجعل نصب عينيه إلا الوصول إلى الأغـراض الطيبـة الموافقة لمبدأ الجمعيـة المطابقـة لـروح الشريعة السمحة.]

ومن هذه الأحكام العامة يتبين مدى ما تحرص عليه الجمعية من حث أبنائها على العمل والكسـب الحـلال وتـرك الكسـل والاعتماد على الآخرين ، كما يفعل بعض المدعين للصوفية الذين يتكسبون من وراء الأضرحة والموالد .

كما يتضح أسلوب اللين والسماحة والخلق الطيـب وسـيلة للتعامل مع الخلق ، مع البعد عن التدخل فى الشـئون الخاصـة للأفراد ، وكذلك أسلوب الهدوء ونشدان المصلحة فـى مناقشـة

الأمور فى مجالس الإدارات ، والحرص على تنقية الصف من العصاة والمفسدين والمخربين والمجرمين بالنصح أولا ثم بالبتر ثانيا .

وأما النصائح والإرشادات :

فبعد هذه الأحكام تأتى نصائح الإمام هكذا :

[**أولاً** : يتحتم على كل مكلف أن يجهد نفسه فى تحصيل ما يلزمه فى دينه ودنياه من العلم والعمل المشروع ، وعليه أن يعمل بما علم ما استطاع .

ثانيًا : الفرائض كالصلاة والزكاة والصيام والحج على المكلف أن يأتى بها على وجهها كلّ فى وقته .

ثالثًا : السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ ينبغى الاعتناء بها والحرص على التحلى بها .

رابعًا : المحظور شرعا ـ ولو صغيرا ـ لا رخصة للمكلف فى ارتكابه ، أما المكروه شرعا فيتأكد تركه ما وجد عنه مندوحة .

خامسًا : ترك السنن مقدمة لترك الواجبات ، فليحذر العاقل من تركها ، وفعل المكروهات بـــاب الدخول فى الحرام فليحذر المؤمن من فعله .

سادسًا : العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان فى ذكر الله تعالى

سابعًا : حقوق العباد مبنية على المشاحّة ، فيطلـــب من العاقل معاملتهم بالتى هى أحســـن ، ولا يسوغ تناول شيء من أموالهم بغير حـــق، ولا التكلم فى شأنهم إلا بخير .

ثامنًا : اللين هـــو السياســـة الإلهيـــة فـــى الأمـــر بالمعروف والنهى عن المنكر فعلـــى مـــن يتصدى لذلك وضع ذلك الأصل نصب عينه

تاسعًا : الناس فيهم الجاهل والعالم، والسفيه والحليم، فمن تصدّى للإرشاد فليعدّ لهم صدرا رحبـــا

لا تزعزعه بذاءة السفهاء ، ولا فظاظة الجاهلين .

عاشرًا : قبح وجود العلل بالأطباء ، فعلى المرشد أن يكون فى كل أطواره مثالا للشريعة الغراء ، ومن لم يكن على هذا المبدأ فلا علقة للجمعية به بصفته مرشدا .]

هكذا يريد الإمام من أى عضو ينتسب إلى هذه الجمعية أن يحرص على بذل الجهد فى تحصيل العلم وفى العمل بمقتضاه ، ولا عذر فى ترك الفرائض أو تأخيرها عن موعدها ، وأداء السنن حماية لهذه الفرائض ، والمحرمات لا رخصة فى ارتكابها ، والمكروهات باب الدخول فى المحرمات ، وحقوق العباد مصونة ، والتعامل معهم يكون باللين وسعة الصدر والقدوة الطيبة .

وبهذا الأسلوب فى التعامل مع الله ومع النفس ومع الغير تنجح الدعوة وتأتلف القلوب على منهج الله .

شروط العضوية :

يتلخص من كل ما سبق بيانه من الإمام المؤسس أن العضو الذى يريد أن ينتسب إلى الجمعية لابد أن يكون :

١- له عمل يكتسب منه مالاً حلالاً ينفق منه على نفسه وأهله ويتصدق منه ما أمكن .

٢- لين الطبع ، يألف ويؤلف ، لا يتدخل فيما لا يعنيه ، وليس بفظ ولا غليظ .

٣- شريفا عفيفا أمينا على مبادئ الجمعية ومواردها ومصارفها .

٤- هادئاً فى مناقشاته مستهدفا منها المصلحة العامة .

٥- حريصا على طلب العلم والعمل بما يعلم من شرع الله .

٦- محافظا على الفرائض فى وقتها ، حريصا على السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ .

٧- بعيدا عن المحظورات والمكروهات الشرعية .

٨- ذاكرا لله فى كل أحواله ليبتعد عنه الشيطان ، مجددا لنية العبادة فى أنشطته الدنيوية .

٩- محافظا على حقوق إخوانه وعلى مشاعرهم وكرامتهم .

١٠- رحب الصدر واسع الحلم مع من يدعوه إلى الله مهما كان مجادلا أو سفيها .

١١- سلفى العقيدة لا يحكم على الخلف بفسق أو ابتداع ما داموا مؤمنين بأنه سبحانه ليس كمثله شيء .

١٢- ناشرا للعلم الصحيح قطعا لأعذار الجاهلين .

١٣- مستشعرا لهموم الأمة ، عاملا على رفعة شأنها ، باذلا لجهده ووقته وماله فى سبيل نهضتها .

١٤- غير متعصب لمذهب فقهى معين ، ولا يحتج بمذهب على مذهب آخر فكلهم من رسول الله ﷺ ملتمس .

حياة الإمام

ولد الشيخ محمود محمد خطاب السبكى فى قريـــة " ســبك الأحد " مركز أشمون محافظة المنوفية يوم الخميس التاسع عشر من ذى القعدة عام أربعة وسبعين ومائتين وألــف مــن الهجــرة (١٢٧٤/١١/١٩هـ) الموافق أول يوليو عام ثمانيــة وخمســين وثمانمائة وألف من الميلاد (١٨٥٨/٧/١م) .

ونشأ بين أبوين كريمين تعهداه بالتربية الخلقية ، والحــرص على علو الهمة حيث كان والده سيدا فى قومه ذا بسطة فى الرزق والجسم محببا بين عشيرته وعارفيه .

وكان من حظه أن يبقى بجانب والده يرعى غنمــه وخيلــه وحديقته الواسعة التى تبلغ ستة أفدنة ، فكان خير معين لأبيه فى كل هذه الأعمال ومع هذا تعلم النجارة والخياطــة وفــن البنــاء والرماية والصيد .

وفى هذه الأثناء وبعد بلوغه الحلم اتصل بالشيخ أحمد محمد جبل السبكى الخلوتى فاشتغل بذكر الله وطاعتــه : يقــوم الليــل

ويصوم النهار ، وأحيانا يصلي في الليلة الواحدة مائة ركعة ، حتى بدت عليه علامات الصلاح فأذن له شيخه بأن يرشد المريدين .

كان ذلك وهو أمي لم يتعلم القراءة والكتابة حتى كان ذات يوم جالسا في بستان أبيه وقد ناهز العشرين من عمره فدخل عليه ابن عمه إبراهيم حسنين ومعه لوح صغير به بعض حروف الهجاء ، فسأله عمن يعلّمه ، فذهب إليه ، وطلب منه أن يكتب له حروف الهجاء ، فأخذ يقلّدها حتى استطاع في أيام قليلة أن يقرأ ويكتب بإجادة وإحسان ، وفي هذه الفترة ألف بعض الكتب الصوفية التي استشعر ما فيها بعد ذلك من تجاوزات تخالف ما تعلمه وحققه فلم ينشرها في حياته ، بل كتب عليها بخطه : لا تطبع إلا بعد مراجعة المؤلف شخصيا ، ومنها كتاب " **أعذب المسالك المحمودية في التصوف** " .

سبب دراسته بالأزهر :

وكان المتبع في ذلك الوقت إعفاء أولاد العمد من التجنيد فسمع أخوه " علي " إشاعة مؤداها أن الحكومة تريد أخذ أولاد

العمد إلى الخدمة العسكرية ، فأخبر والده بذلك خوفا على أخيه " محمود " ، ودخل عليهما الأخ الأكبر الشيخ خطاب وكان من علماء الأزهر فأشار على أبيه أن يأخذه معه إلى الجامع الأزهر ليأتى له بشهادة المعافاة بواسطة أكابر علماء الأزهر .

وكان الجامع الأزهر حينذاك له مكانة عظيمة : من دخله كان آمنا ، لا سبيل لأمير ولا لوزير على من ينتسب إليه ، فرفض والده حرصا على مصالحه التى يقوم بها ابنه محمود ، وقال : " إذا طلبوه للعسكرية فسأدفع له البدلية " (وكانت إذ ذاك مائة جنيه) ، فظل الشيخ خطاب يلح على أبيه ، ويعده بأنه لن يغيب أكثر من أربعة أيام .. واصطحبه ودخل معه الجامع الأزهر وقت انتظام الدروس فيه ، ونظر الشيخ محمود إلى حلقات الدرس فتعلقت نفسه بطلب العلم ، وحين قال له أخوه : " هيا بنا إلى الشيخ العدوى ، فهو ذو حظوة عند أمير البلاد ، ليأتى لك بشهادة المعافاة ، ولتعود إلى أبيك حسبما وعدناه " قال له : " لا حاجة لى عند الشيخ العدوى ولا عند غيره ، لن أبرح هذا المكان حتى أكون مثل هذا الشيخ " ، فقال له أخوه : " أنت كبير السن ولم

تحفظ القرآن فكيف تطمع فى ذلك ؟ " فرد عليه قائلا : " الله الذى علّم الصغير قادر على أن يعلم الكبير ، وعلى أن يرضى عنى الوالد إذا لم أرجع إليه حسبما وعدناه " .

فلما رأى الشيخ " خطاب " تصميمه وعزيمته تركه راجيا له الخير وقال : "قد تسبق العرجاء ، والله يختص برحمته من يشاء " فأكبّ على حفظ القران الكريم ، فكان يحفظ كل يوم ثلاثة أرباع ، حتى حفظه فى نصف عام ، وانتظم فى الدراسة رافضا قيد اسمه فى سجلات الأزهر كارها أن يحصل على " جراية " منه لأنه ميسور الحال .

وكان مما تميز به أمران : **أحدهما** أنه كان يطبق ما يتعلمه من أحكام على نفسه وأهله وأحبابه ؛ **والآخر** : أنه فى السنة الأولى بدأ يلقى على زملائه دروسا فى الجامع الأزهر تطورت إلى دروس عامة ، يحضرها الطلاب وغيرهم بل كان يراقبها بعض أفاضل العلماء .. وحين يسافر إلى قريته فى إجازة يجتهد فى نصح أترابه وأهله محاربا لكل أنواع المخالفات الشرعية .

حصوله على الشهادة العالمية :

وقد أتاح له قيامه بالدعوة فى محيط طلاب العلم وفى المجال العام أن يوسع أطلاعه وتحقيقه للمسائل الشرعية ، وأن يتبحّر فى علوم الفقه والحديث مما جعله يختصر سنوات الدراسة ويتقدم لنيل درجة العالمية قبل استيفائه المدة المقررة للدراسة ، وقد ساعده على قبول طلبه أنهم لم يجدوا اسمه مقيدا بدفاتر الجراية فلم يستطيعوا تحديد الفترة التى قضاها فى الدراسة فقدم بحثه إلى شيخ الأزهر وتكونت له لجنة الامتحان برياسة فضيلة الشيخ " حسونة النواوى " شيخ الجامع الأزهر ومعه مفتى الديار المصرية وضمت اللجنة عضوين من كل مذهب من المذاهب الأربعة ، وكان توفيق الله له واضحا وإعجاب اللجنة بعلمه وفهمه بالغا ، ونال الشهادة بجدارة ، فى ٢٦ رجب ١٣١٣هـ الموافق ١٥ يناير سنة ١٨٩٦م فاجتهد فى إلقاء الدروس العلمية على مئات الطلاب فى الجامع الأزهر ، واعتنى فيها ببيان البدع الفاشية ، والخرافات المضلة ، محذرا من ارتكابها ، مرشدا إلى العمل بهدى الرسول وصحبه ، فحقد عليه بعض المنتفعين بهذه البدع

وبعض الشيوخ المتمسكين بالتقاليد والعادات السائدة ، فـأمطروا المسئولين فى الدولة بوابل من الشكاوى يدّعون فيها أن السـبكى وأتباعه خطر على أمن البلاد ، بل إنهم توجهوا بالشكوى إلى دار الحماية البريطانية !! فما كان لهذه الشكاوى من أثر بفضل الله .. فاتجهوا إلى شيخ الأزهر حينذاك وهو فضـيلة الشـيخ " سـليم البشرى " فكون فضيلته مجلسا علميا للمناظرة وبحث ما يدعيـه الشيخ " السبكى " من البدع الفاشية والسنن المتروكـة ، ومـا إن وصلت الدعوة إلى الشيخ " السبكى " حتى لبى مسرعا ، وكانـت المناظرة فى إدارة الأزهر فقارعهم بالحجج والبـراهين والأدلـة الدامغة ، فلم يستطيعوا أن يعارضوه وانصرفوا مهزومين .

العناية بتأليف الكتب :

بعد هذه المناظرة عكف الشيخ على تأليف الكتب والمؤلفات القيمة المحققة التى تعتبر خلاصة فكره ، والتى أسس على مبادئها الجمعية الشرعية ، وأهمها : **إرشاد الخلق إلى دين الحق وهـو كتاب " الدين الخالص " فى تسع مجلـدات ، والمنهـل العـذب**

المورود فى شرح سنن أبى داود فى عشر مجلدات بالإضافة إلى بعض الرسائل التى تعالج بعض القضايا الفقهية مثل :

١- تحفة الأبصار والبصائر فى بيان كيفية السير مع الجنازة إلى المقابر .

٢- الرسالة البديعة الرفيعة فى الرد على من طغى فخالف الشريعة .

٣- غاية التبيان لما به ثبوت الصيام والأفطار فى شهر رمضان .

٤- تعجيل القضاء المبرم لمحق من سعى ضد سنة الرسول الأعظم .

٥- السم الفعال فى أمعاء فرق الضلال .

٦- اتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف فى المتشابهات .

ومن التأمل فى عناوين هذه الرسائل يتبين ضراوة المعركة بين الشيخ ومعارضيه فى هذه الفترة التاريخية ويمكن القول إن الشيخ رحمه الله قد لخص ما يدعو إليه فى آخر ما كتبه فى حياته وهما " **الدين الخالص** " و" **المنهل العذب المورود** " ؛ وقد انتقل إلى جوار ربه يوم الجمعة ١٤ ربيع الأول ١٣٥٢هـ الموافق ٧ يوليو سنة ١٩٣٣م .

حربه على البدع :

أتاحت له سعة أفقه ، وتفقهه فى دينه ، أن رصد عادات الناس وتقاليدهم ، وعرضها على ما تعلمه من دين الله ، فإذا به يجد المفارقات الشاسعة بين ما تعلمه وما عليه الناس ، فأراد أن يستوثق من ذلك فأرسل إلى علماء الأمة الموثوق فيهم من الخاصة والعامة ، يستفتيهم فيما يراه من بدع ، وحين يتلقى الإجابة يصر على ختمها بخاتم الشيخ وخطّه حتى تكون له حجة وبرهانا .. ثم جمع هذه الفتاوى فى كتاب سماه : " **فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين** " .

وكان من أهم ما لفت نظره من بدع ما عليه المتصوفة فى زمانه من السير بالبيارق ، وقراءة البردة أمام الجنائز ، والضرب بالطبل ورفع الصوت بالذكر ، ثم ما عايشه من بدع المآتم والأفراح والموالد مما كان يظنه من قبل من شعائر الدين فإذا به – بعد دراسته فى الأزهر وتمييزه بين السنن والبدع ، وتبحره فى علوم الدين – يحمل حملة شعواء على المبتدعين والمرتزقين من وراء هذه البدع والخرافات ، وكان من أثر ذلك أن هاج بعضهم

وماج وصار يقدم الشكاوى إلى أجهزة الشرطة ومشيخة الجامع الأزهر يقولون : إن السبكى تعدى علينا وعاب طريقتنا وقطع أرزاقنا ، فما التفت إلى شكاواهم أحد (كما سبق ذكره) لعلم الجميع أنهم مخرفون متكسبون من وراء هذه المظاهر والشعارات

المذهب العقدى للشيخ السبكى :

لما كان الشعار الذى رفعه الشيخ فى اختياره لاسم الجمعية متضمنا المنبع الذى يستقى منه منهجه فى الدعوة ، وهو الكتاب والسنة المحمدية .. كان من البدهى أن يلتزم بهما فى مذهبه العقدى ، ولما كانت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد حددت عناصر هذه العقيدة فى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، تناول الشيخ هذه العناصر بالشرح والبيان فى مقدمة كتابه الدين الخالص .. ولما كان الاتفاق والإجماع من علماء الأمة منعقدا حول النبوات والسمعيات ، وانحصر الخلاف بينهم فى عنصر الإلهيات .. تعرض الشيخ إلى هذه الجزئية فى كتابه : اتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف فى المتشابهات .

وكانت نظرته متوازنة بين الخلف والسلف .

ويقصد بالخلف الذين واجهوا هجمات أصحاب العقائد الفاسدة ، ممن دخلوا فى الإسلام من الشعوب التى كان لها نظرات فلسفية فيما وراء الطبيعة ، واتفقوا مع السلف على تحقيق معنى قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .. ويطلق على هؤلاء لقب **الأشاعرة والماتوريدية** ، وقد يصفهم البعض بأنهم المؤولة ، وحتى يستبين الأمر للعامة والخاصة نورد هنا بعض النصوص القرآنية التى كانت محلا للنقاش بين السلف والخلف .

ونحن نرى أن هذا الخلاف لا يمس أصل العقيدة : ذلك أنه قد ورد فى كتاب الله ، وفى السنة الصحيحة ، أن لله يدا ووجها وعينا ، كما ورد أن له يدَين وأن له أعْينا وذلك فى مثل قوله تعالى : ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، وقوله : ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ ، وقوله ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ .

كما أن بعض النصوص إذا فهمت على المعانى الحسية ، التى وردت فى اللغة العربية ، التى نزل بها القران الكريم .. أدى ذلك إلى مشابهة الله تعالى للحوادث كما فى وصف المعية والظرفية فى مثل قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ، وقوله : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ ، وقوله : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ لو أننا فهمنا هذه الآيات المتشابهات على معناها الأصلى الحسى لتعارض ذلك مع قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ، ولأدى بمن يفهم ذلك إلى الكفر والخروج من الملة إذ يصير بذلك مشبّها ومجسّما للذات العلية .

وخروجا من هذا وتوفيقا بين النصوص قال السلف إن لله يدا ليست كأيدينا ، ونفوّض المراد منها لله تعالى ، إذ المطلوب من المؤمن أن يتفكر فى خلق الله وأن يترك التفكير فى ذاته سبحانه فكل ما خطر ببال العبد فالله بخلاف ذلك ، وهو سبحانه لا تدركه الحواس كما قال : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ

ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ، فإذا سئل المرء عن ذات الله كان جوابه من القرآن الكريم : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ، ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ .

وإذا سئل عن صفات الله عز وجل أجاب المؤمن بقوله سبحانه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

وإذا سئل عن الاستواء على العرش ردد ما أجاب به الإمام مالك رضى الله عنه على من سأله عن ذلك – فيما رواه الإمام الشافعى – بقوله : " الاستواء مذكور ، وكيفيته مجهولة

والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أظنك إلا ضالا " ، ثم أمر به فأخرج من مجلسه .

وبذلك يرى السلف أن من يثير هذه الشبهات أمام العامة يدخل فيمن زاغ قلبه ، وأراد فتنة الأمة ، وتفرقتها ، كما قال رب العزة سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ .

هذا ما يسمى بمذهب التفويض أى تفويض العبد لله فيما أراده من هذه الأوصاف فيصرفون الألفاظ عن معانيها الحسية المتعارف عليها فى اللغة ، وهذا ما تبناه الشيخ السبكى بعد أن شرح مذهب الخلف .

مذهب الخلف :

وأما مذهب الخلف فإنهم اضطروا أمام الشبهات التى أثيرت فى أيامهم من المجسّمة والمشبّهة الذين يقولون إننا لا نعقل معنى اليد إلا بما نشاهده من الجوارح فى المخلوقات وإذن فالله له جسم مثلنا وله جوارح كجوارحنا .. وهؤلاء قد ضلوا وكفروا – كما سبق بيانه لأن الله سبحانه صرح بأنه ليس كمثله شيء – اضطر الخلف إزاء هذه الظروف أن يلجأوا إلى استعمال العرب لهذه الجوارح فى الأساليب الفصيحة فوجدوا أن اللغة تعبر عن الكل بالجزء الأهم ، ويشيع فيها استعمال المجاز ، وبما أن القرآن والسنة قد حفلا بأساليب المجاز – فى غير مجال الذات – مثل وصف القرآن الجدار بأن له إرادة فى قــوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾ ، ومثل وصف النبى ﷺ للمعطى بأن يده هى العليا فى مثل قــوله ﷺ : « **اليد العليا خير من اليد السفلى** » فلا مانع أن ينسحب المجاز على مجال الذات والصفات ، فإذا قــال الله عز وجــل : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ، فالمعنى تبقى ذات ربك ؛ إذ لا يعقل أن يبقى الوجه وحده حملا

على القاعدة البلاغية فى التعبير عن الكل بالجزء ، وإذا قال الله عز وجل : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ ، فالمعنى أنه استولى وهيمن ، إذ لا يعقل أنه قعد على العرش ، فالقعود صفة الحوادث والمخلوقات وهكذا سار الخلف إلى هذا النمط فى فهم الآيات المتشابهات ، ووجهوا الآية التى سبق ذكرها فى ضرورة التفويض بأن الواو التى بين لفظ الجلالة والراسخين فى العلم للعطف لا للاستئناف .. أى أن الله يعلم تأويل المتشابهات وأن الراسخين فى العلم يعلمون ذلك أيضا من حيث إن هذا القرآن قد نزل بلسان عربى مبين ، يعقله العالمون والراسخون وانبنى ذلك على أن معنى التأويل فى الآية هو التفسير والبيان لا ما يؤول إليه أمر القرآن .

وجه الإتفاق بين السلف والخلف :

وبمزيد من التأمل نرى ويرى الشيخ السبكى أن علماء الأمة جميعا سلفها وخلفها قد اتفقوا على صرف اللفظ عن معناه الحسى ؛ إيمانا بأنه سبحانه ليس كمثله شىء ، غاية ما فى الأمر

أن السلف يفوض المعنى لله ، والخلف يحمل المعنى على المجاز الوارد فى الأساليب الفصيحة وأن الجميع ينزه الله عـــن صـــفات الحوادث ويثبت له كل كمال يليق بذاته ، وينفى عنه كل نقص .

على أن الإمام السبكى قد اختار مذهب السلف لأنـــه أســـلم وأحوط كما ذهب إلى ذلك المحققون المتأخرون من أمثال الإمـــام ابن تيمية والإمام ابن القيم ، لأن قاعدة المجاز فى اللغة تقتضـــى معرفة الحقيقة قبل أن ننتقل إلى المعنـــى المجـــازى ، كمـــا إذا وصفت إنسانا بأنه أسد فلابد من معرفة حقيقـــة الأســـد وتميـــزه بالشجاعة قبل أن تنتقل من هذا الوصف للأســـد لتضـــعه علـــى الإنسان .. ثم إنها مجازفة حين نحدد المعنى المقصود من هـــذه الألفاظ إذ قد يكون لها معنى أوسع أو معنـــى مغـــاير .. ومـــع اختياره لمذهب السلف لم يحكم على الخلف .. بالابتداع أو بالفسق أو بالكفـــر حيث إنهم ينزهـــون الله عـــن صـــــفات الحـــوادث كالسلف تماما .

مذهب الشيخ فى الفروع :

وهذا هو المنهج الذى اتبعه الشيخ أيضا فى الأحكام الفقهية حيث يتعرض لآراء المذاهب المختلفة ، ويختار منها ما يؤيده الدليل الأرجح ، ولا يحكم على المذهب الآخر بالخطأ أو الضلال ، فكُل له دليله ، وهو بهذا المنهج يتأسى برسول الله ﷺ إذ قال لأصحابه حين استنفرهم للخروج إلى بنى قريظة فقال لهم : « **لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة** » ، ففهم بعض الصحابة النهى على حقيقته بأنه لا يجوز لهم صلاة العصر إلا هناك ، فامتنعوا عن الصلاة وهم فى الطريق حين حان موعد العصر ، وقال بعض الصحابة إن الرسول ﷺ لم يرد ذلك وإنما أراد الإسراع ، أى أنه يحثنا على السرعة حتى ندرك العصر فى بنى قريظة ، فصلوا فى الطريق ولما علم النبى صلوات الله وسلامه عليه بما فعله الفريقان أقر كلا على ما فعل .

وقد ظهر هذا المنهج العقدى عند الإمام السبكى فى كتابيه .. الدين الخالص وإتحاف الكائنات حيث ذكر فى " **الدين الخالص** " ص٢٢ جـ١ : " الصفات الواجبة لله تعالى والمتفق عليها بين

السلف والخلف لاعتمادها على نصوص القرآن الكريم وأسماء الله الحسنى وهى الوحدانية والبقاء والمخالفة للحوادث والقدرة والإرادة والحياة والعلم والسمع والبصر والكلام " ثم قال : " وله تعالى صفات غير ذلك كالجلال والجمال والعزة والعظمة والكبرياء والقوة والقوة غير القدرة ، والوجه والنفس والعين واليد والأصابع والقدم ، والمحبة والرضا ، والفرح والضحك ، والغضب والكراهة ، والعجب والمكر ، ونحو ذلك مما ورد فى الكتاب والسنة فيجب الإيمان به بلا كيف فنقول : له تعالى يد لا كالأيدى ، ونفوض معرفة ذلك وتفصيله إلى الله تعالى ، ولا نؤول أن يده تعالى هى قدرته أو نعمته وأمثال ذلك لأن فيه أبطال الصفة التى دل عليها الكتاب والسنة ولكن نقول : يده صفة له بلا كيف وهكذا وغضبه ومكره واستهزاؤه غير انتقامه وغير إرادة الانتقام بل من صفاته بلا كيف ، وهذا مذهب السلف فى المتشابهات وبه نقول " .

ويقول تحت عنوان " **المتشابه** " ص٢٧ ، ٢٨ : " والخلف يقولون : الاستواء معناه الاقتدار والتصرف ونحو ذلك ، ومذهب السلف أسلم لأنه يحتمل أن الله عز وجل أراد معنى فى الآية غير

ما فسرها به الخلف ، ووجه صحة مذهب الخلف أنهم فسروا الآية بما دل عليه اللفظ العربى والقرآن عربى ، وحملهم على التفسير المذكور ، ولم يفوضوا كما فوض السلف ، وجود المشبّهة والمجسّمة فى زمانهم زاعمين أن ظاهر الآيات يدل على أنه تعالى جسم ، ولم يفقهوا أنه مستحيل عليه عز وجل الجسمية والحلول فى الأمكنة ... فجزاهم الله خير الجزاء " ثم يذكر الإمام الخلاصة بعد ذلك فيقول : " والحاصل أن الخلف لم يخالفوا السلف فى الاعتقاد إنما خالفو فى تفسير المتشابه ... واعتقادهم واحد وهو أن الآيات والأحاديث المتشابهات مصروفة عن ظاهرها الموهم تشبيهه تعالى بشيء من صفات الحوادث ... فمن اعتقد وصفه تعالى بشيء منها فهو كافر بإجماع السلف والخلف "

هذا وقد أورد الإمام السبكى أقوال الأئمة فى هذه المسألة بما لا يخرج عما ذكر ومنها ما قاله القاضى عياض ص٣٤ : " لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدثهم ومتكلمهم ومجتهدهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر مكان لله تعالى كقوله تعالى : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ ، ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم " .

وفى كتابه " **إتحاف الكائنات** " ص٧ قـــال الشـــيخ السبكى :
" فمذهب السلف والخلف صحيحان تشهد الأدلة لهمـــا **والفضـــل الزائد للسلف** " .

إجابة الإمام المؤسس على من سأله عن عقيدته :

قال – رحمه الله – ردّا على من سأله توضيح عقيدته فى أصول الدين وفروعه :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمـــد لله الهادى إلى سواء السبيل ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد السراج المنير وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه القويم .

أما بعد ،

فإن عقيدتى فى الأصول ما كان عليه صالح سلف الأمة المحمدية ، وهى أنى موقن بأن الله إله واحد ، متصف بكل كمال منزه عن كل نقص ، وأنه تعالى خلق العرش والسماوات والأرضين والملائكة والجن والإنس والجنة والنار – وغير ذلك من الحوادث – وحده لا شريك له ، وأنه المتصرف فى جميع الكائنات من غير مشارك .

قد بعث لخلقه أنبياء ورسلاً كثيرين لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ، وآخرهم سيدنا محمد خاتم الأنبياء عليهم وعلى آلهم الصلاة والسلام ، قد أيدهم بالمعجزات .

وأن رسالة نبينا **محمد** – صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم – عامة لجميع المكلفين ، وأنه لا نبى بعده .

وأن الأئمة المجتهدين كأبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد على هدى ، واعتقد أن لله تعالى أولياء أكرمهم بالوقوف عند حدود الشريعة المحمدية وبظهور الكرامات .

وأنزل على بعض رسله كتبًا منها التوراة والإنجيل والقرآن ، وأن كلام الله قديم ، وأفوض علم معانى المتشابه من الكتاب والسنة إليه تعالى ، حيث لم يبينها لنا الرسول ﷺ مع اعتقاد أنه تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ منزه عن صفات الحوادث ، فليس بجسم ، ولا مكان له ولا جهة ، ولا يحل فى شىء من مخلوقاته ، ولا يمر عليه زمان ، ولا يفتقر إلى شىء ، بل هو الغنى عن كل ما سواه ، وغير مفتقر إليه تعالى .

وأومن بالقدر خيره وشره حلوه ومره ، واعتقد أن سؤال القبر حق ، ونعيمه للطائعين حق ، وعذابه للعاصين حق .

وأومن باليوم الآخر وما يكون فيه من البعث ،وأخذ الصحف باليمين لأهل السعادة ، وأخذها بالشمال لأهل الشقاوة ، والحساب ، والميزان ، وغير ذلك مما هو ثابت بالكتاب والسنة ، وأن الشفاعة ثابتة لمن أذن الله تعالى له فيها ، وأن الشفاعة العظمى فى فصل القضاء مختصة بسيدنا محمد ﷺ ، وأن المؤمنين سيرون ربهم تبارك وتعالى فى الجنة بلا كيفية ولا انحصار .

وأن مرتكب المعاصى غير الكفر - والعياذ بالله تعالى - غير كافر ، فإن لم يتب فأمره مفوض إلى ربه : إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، وأن من مات مسلمًا يخلد فى الجنة وأن من مات - والعياذ بالله تعالى - كافرًا يخلد فى النار .

وأما عقيدتى فى الفروع فهى طلب العمل بما ورد فى الكتاب والسنة المحمدية وجوبًا واستنانًا وما أجمعت عليه الأئمة المجتهدون ، وما لم يرد فيه نص واختلف فيه الأئمة فأعمل فيه بما ذهب إليه الإمام مالك رضى الله عنهم أجمعين - ما لم يكن دليل غيره أرجح - وأعتقد أن كل ما خالف كتاب الله عز وجل وسنة رسـوله ﷺ وإجماع الأئمة المجتهدين باطل ، ومن عمل عليه ضل وأضل ، وأن البدع فى العبادة ليست من الدين ، لا

يتقرب بها إلى الله تعالى ، وصاحبها عمله عليه مردود ، ضل سعيه وخاب ، وإن إرسال العذبة سنة وردت فيها الأحاديث الصحيحة والحسنة ، فمن فعلها فله ثواب فعلها .

وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر **مع اللين والحكمة والبعد عن الغلظة** من الواجبات ، وتركهما من الكبائر ، وأنا برئ ممن يخالف ذلك .

كما أنى أبرأ إلى الله تعالى من التعمق فى الدين ، والغلو فيه والخروج عن حدوده .

وإنى برئ من كل قول أو عمل أو تقرير يخالف الكتاب أو السنة المحمدية ، ومن نسب إلىّ شيئًا يخالف ذلك فهو ضال مضل إثمه عليه وكذا من يصدقه وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وأستغفر الله العظيم من كل المخالفات ، وأتوب إليه وأسأله التوفيق لما يرضيه ، والبعد عما لا يرضيه ، لى ولسائر العباد إنه تعالى غفور جواد ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ومن كان بهديه من العاملين " .

ومن هذا الجواب نستطيع أن نتصور ضراوة الحرب والاتهامات المغرضة التى وجهت إلى الشيخ الإمام والتشويه المتعمد لدعوته ، من هؤلاء الذين قالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ، ومن هؤلاء الذين يتكسبون من وراء البدع التى حمل الشيخ على أهلها حملة شعواء بالنصوص القاطعة والأدلة الدامغة .

ومن هذا الرد المفحم يتبين مدى ما تمتع به الشيخ من حرصه على ثوابت الدين وأصوله بفهم سلفى واع ومعتدل ، ومن منهجه فى الفروع بلا غلو أو تفريط ، وفى طرق الدعوة المشروعة بالحكمة واللين وبراءته من الغلظة والفظاظة .

وحتى تكتمل الصورة المثلى عن توجهات الإمام الدعوية نخص المنهج الدعوى بالحديث :

منهج الجمعية فى الدعوة إلى الله

تطبيقًا لأغراض الجمعية التى سبق ذكرها على لسان الإمام المؤسس وأن أول غرض فيها هو نشر التعليم الصحيح لتنقطع

حجة من ترك العمل بدينه بدعوى أنه جاهل ، وأن الغرض الثانى هو التناصح والتواصل وموالاة الوعظ من رجال يعرفون كيف يعظون .

وتفعيلاً للنصائح والإرشادات التى ختم بها الإمام قانون الجمعية ، ومنها أن اللين هو السياسة الإلهية فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن من تصدى للإرشاد فليعدّ للناس صدرًا رحبًا لا تزعــزعه بذاءة السفهاء ولا فظاظة الجاهلين .. وأن على المرشد أن يكون فى كل أطواره مثالاً للشريعة الغراء ، ومن لم يكن على هذا المبدأ فلا علقة للجمعية به بصفته مرشــدًا .. نسوق الآن المنشور الذى أعده ووزعه الإمام المؤسس على جميع الدعاة والوعاظ مع مطلع هذه الجمعية وفى نفس العام الذى تأسست فيه ، يبين لهم فيه المنهج الســوى والوسائل الفعالة فى مجالهم الذى هو أشرف المجالات ، بحيث لا يؤذن لأحد منهم أن يعظ الناس إلا بعد أن يتعهد بالعمل على مقتضى هذا المنشور :

" الحمد لله حمد من وعظ نفسه قبل أن يعظ سواه .. والصلاة والسلام الدائمان الأتمان على كوكب الإرشاد ومنار الهداة ، وعلى آله وأصحابه الذين بذلوا نفوسهم وأموالهم ابتغاء مرضاة الله .

أما بعد ..

فقد رأت الجمعية الشرعية فى حضرتكم من المكانة الأخلاقية والعلمية ما يؤهله لأن يجوب فدافد (مناحى) الأرض – شرقًا وغربًا ، جنوبًا وشمالاً – يعظ المسلمين ويرشد الحائرين ، ويذب عن دين الله شُبَه الضالين والمارقين ، لذلك أسندت إليكم هذا المنصب السامى مع علمها بخطورته ووعرة مسالكه ، والجمعية ترجوك أيها الأستاذ الفاضـــل أن تتقى الله فيها وفى نفسك وفى المسلمين ، فإنك قد أصبحت أمينًا على دين الله ، مالكًا زمام من ترشدهم ، تقودهم إلى حيث تريد ، فجنّتهم ونارهم بين لحييك ، فيجب إذن أن تجعل مركزك فوق مركز ذلك الطبيب الحاذق الذى يعطى من الأدوية لكل مريض ما يناسبه بمقادير خاصة لا تنقص ولا تزيد عليها شيئًا ، يعرف أن التباب (الهلاك) فى طرفى الإفراط والتفريط .

وإن الجمعية تبيح لك أن تغدو وتروح فى تعليمك واضعًا نصب عينك إفادة المسلمين ، متدليًا فى ذلك من أهم إلى مهم .

– فتبتدئ بغرس العقائد فى نفوس من تباشر تعليمهم ، مراعيًا مذهب أهل السنة والجماعة بعيدًا عن المشاغبات الكلامية ،

والبراهين المنطقية لصعوبتها على أفكار العامة من الناس .

- وتردف ذلك بتعليم ما لابد منه من صلاة وصيام وزكاة وحج .
- وتتبع هذا نهيهم عما هو فاش فى البلاد من المنكرات كترك أركان الإسلام ، وكالربا، والزنا ، والخمر ، والقتل ، وتعاطى كل مسكر من الأنبذة والحشيش ، والمنازيل ، وتنهاهم أيضًا عن السرقة ، والغش والأيمان الفاجرة ، والنميمة ، والغيبة ، وحرق المزروعات ، والحسد ، والحقد ، والكبْر ، والعجب ، والمراء ، وتنهاهم أيضًا عن لعب السيجة والطاولة والكتشينة ، وغير ذلك من كل فعل باطنى أو ظاهرى قبيح .
- ثم تعرج بهم إلى رياض الآداب النبوية والأخلاق المحمدية كالحلم ، والصبر ، والتواضع والكرم ، والرغبة عن الدنيا ، والرغبة فى الآخرة ، وحب الخير للمسلمين، والسعى فيما يزيل الأحقاد من نفوسهم ، والتزاور فى الله ، وإفشاء السلام ، والتعاون على البر والتقوى .
- وتعلمهم لباس النبى ﷺ وأكله وشربه ، وغير ذلك من كل خُلُق نبــوى يتعلق بعــادة أو عبادة تمنحهم منه ما يطيقون .
- ثم تنحدر إلى ما يخالف ذلك من البدع ، فتنبه عليه ، حاثًا على

اجتنابهم إياها اقتداءً بنبيهم ﷺ ، وحبًا فى آداب دينهم ، وبغضًا لما سواه بعبارة يفهمها العام والخاص ، يصحبها التأنى فإن فى الناس الغبىّ والذكىّ .

كل ذلك وأنت رحب الصدر ، حلو اللسان ، طلق الوجه ، أزهد الناس وأبعدهم عن الفحش فى القول ، تسع السفيه والجاهل والمتعنت ، جاعلاً محورك الذى تدور عليه قوله تعالى على لسان سيدنا لقمان عليه السلام إذ يقول لابنه : ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ وقــوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

وإياك ثم إياك أن يخطر ببالك أن تتكلم فى موضوع سياسى ، فإن ذلك ليس من شأنك ، ومعلوم أن الدين دين الله ، والهداية لدينه بيده لا يملكها سواه ، وليس علينا سوى أن نعرّف ، والحمل على الأمور والتعب لتنفيذها خارج عن الواجب علينا ، فلا نتعرض له ، فمن سمع وعمل فالخيرَ أراد لنفسه ، ومن أعرض عنا وتركنا وما نأمر به ، فالخيرَ أردنا وما علينا إلا البلاغ اتباعًا

لسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ، ووقوفًا على ما حدّه الله له إذ يقـــول : ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ .

هذا ما تريد الجمعية الشرعية أن تزودك به قبل أن تباشر عملك ، فإن قمت بمقتضاه فلأمتك نصحت ، ولجمعيتك ولحقوقها حفظت ، ولنفسك خدمت ، ولربك أطعت ، وبرسولك اقتديت ، وبسلك صالحى أمتك انتظمت ، وإن خالفت فى شىء فخرجت إلى ما يوجب اختلالاً للأمن فعلى نفسك جنيت ، والجمعية بريئة منك بين يدى الله والناس " .

وقد علّق ابنه الإمام الثانى فضيلة الشيخ أمين محمود خطاب السبكى على هذا المنشور فى حياة والده سنة ١٣٥١هـــ ، بما يوضح الجو الخانق الذى كان يعانى منه والده مما يلصقه به المعارضون من تعكير الأمن ، والغلظة فى الأمر والنهى ، والتشــــدد فى الرأى ، فقـــال : " فهل بعد تلك الإرشادات وهذه الاحتياطات يقال إن المؤلف السبكى شدّد وتعمق ، وكفر الناس وأحدث الفتن ، وفرق بين المسلمين ، وأبطل المذاهب وشنع على أصحابها ، وأن أتباعه فعلوا مثل فعله المذكور وزادوا عليه

أضعافًا مضاعفة ، شاع ذلك ونحوه على ألسنة شرذمة لا خلاق لها ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ ، ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ ، وعلاوة على ذلك فالإمام ينادى بأعلى صوته فى غالب دروسه أنه برئ من الشدة والغلظة وتكفير أى مسلم مهما ارتكب من المعاصى التى لا تؤدى إلى الكفــر ، وأنه برئ من كل شخص يرتكب شيئًا من ذلك ، ولا علقة بينه وبينه مهما انتسب إليه بدعواه ، وأنه برئ من كل قول أو فعل أو تقرير يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأئمة المجتهدين ولو نسبه إليه المفترون ، وهذا يشهد به عشرات الألوف من العدول فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل " .

وإن كان لنا اليوم من تعليق ، فإننا نقول : " إن من يدعى اليوم من المغرضين أن الجمعية الشرعية قد غيرت فى عهدها الراهن من نمط الدعوة الذى درج عليه الأئمة السابقون لها – سيصدم حين يقرأ هذا المنشور المقتبس من منهج سيد الدعاة وخير خلق الله ، فهــو يبدأ بإشعار الداعى بالمسئولية الملقاة على

كاهله ، وأنه كالطبيب مع المريض ، ثم يضع له المنهج متضمنًا التدرج فى الدعوة على ست مراحل :

١ – العقيدة هى الأساس ، وتناولها يجب أن يكون على مذهب أهل السنة من السلف بعيدًا عن المشاغبات الكلامية مكتفيًا بما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله عن ذات الله وصفاته .

٢ – المرحلة الثانية : تعليم الأحكام التى لابد منها فى صحة العبادة والتأكيد على القيام بالمفروض .

٣ – المرحلة الثالثة : النهى عن المنكرات الفاشية التى تتعارض مع دين الله .

٤ – المرحلة الرابعة : العروج إلى رياض الآداب النبوية والأخلاق المحمدية والعمل بالسنن الثابتة .

٥ – المرحلة الخامسة : التعريف بعادات النبى ﷺ فى ملابسه ومطعمه ومشربه ونومه ويقظته وسلوكه .

٦ – المرحلة السادسة : التنبيه على ما يخالف تلك الآداب والسنن من البدع والعادات التى لا تعتمد على نص شرعى .

ولا يغفل هذا المنشور ما يجب أن يتحلى به الداعية فى ست صفات أيضًا :

أولاً : عليه أن يتفنن فى العبارة الواضحة التى يفهمها العام والخاص حتى يكون بلاغه مبينًا.

ثانيًا : عليه أن يكون رحب الصدر ، حلو اللسان ، طلق الوجه .

ثالثًا : عليه أن يكون أبعد الناس عن فحش القول مهما كان المجادل سفيهًا أو متعنتًا .

رابعًا : عليه أن يتحمل الأذى فى سبيل دعوته كما فى وصية لقمان لابنه .

خامسًا : عليه أن لا يحمل غيره بالعنف على تنفيذ ما أمر الله به ، فما عليه إلا البلاغ .

سادسًا : عليه أن يتجنب الكلام فى السياسة بالمفهوم الحزبى ، والارتباط بالمنافع الخاصة والمصالح الضيقة ، وألا يتعجل الإصلاح فالهداية من الله .

وهذا هو المطلوب اليوم من دعاة الجمعية الشرعية ، ومن لم يسر على هذا المنهج فلا علاقة بينه وبين الجمعية مهما ادعى أنه من رموزها ، أو أنه يتزيًا بزيها أو يحافظ على سمتها فى لحيته وعمامته " .

أئمة الجمعية وعلماؤها

الإمام الأول المؤسس لها هـو فضـيلة الشيخ/ محمود محمد خطاب السبكى ، ولد فى سبك الأحد ، وظل يباشر أطيان أبيه إلى أن بلغ سن العشرين ، ثم تعلم القراءة والكتابة فى زمن يسـير ، وحين طُلب للتجنيد ذهب به أخوه إلى الأزهر فتعلـق بـالعلم ، وأخلص فى التلقى والاستيعاب ، حتى حصل على العالمية بجدارة وتفوق .. ثم قام بدعوته فى إحياء السنة وإماتة البدع .

وألف هذه الجمعية سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٢م ، ووضع لهـا قانونها وأغراضها ونظامها ، وقاوم المنتفعين بهذه البدع وجـذب إلى دعوته الفاقهين النابهين من علماء الأزهر وطلابـه ، ومـن تجار الخيامية ورجال بلدته ، وأتبع دعوته الإصـلاحية بالعمـل الجاد المثمر ، فأنشأ مصنع المنسوجات الشرعية نواة للاسـتقلال الاقتصادى وتشغيل الأيدى العاطلة ، وشاء الله أن ينتقل هذا الإمام الجليل إلى رحاب ربه يوم الجمعة ١٤ من ربيع الأول ١٣٥٢هـ الموافق ٧ من يوليو ١٩٣٣م .

وترك من المؤلفات العلمية ما سبق التنويه به فى هذا الكتيب

وقد خلفه فى رياسة الجمعية ابنه العالم الفقيه صاحب الفضيلة الشيخ/ أمين محمود خطاب ، المدرس بكلية الشريعة ، فأكمل تراث أبيه العلمى وحققه ووثقة ، ونشر الدعوة فى ربوع مصر ، وأراد الله أن يسترد وديعته فى ٢٧ من ذى القعدة ١٣٨٧هـ الموافق ٢٦ من فبراير ١٩٦٨م .

ثم خلفه نجله الشيخ/ يوسف أمين خطاب ، وتولى المسئولية عقب وفاة أبيه ، وسار على نهج أبيه وجده ، على هدى من الله وتوفيقه . حتى وافته المنية يوم الإثنين ٣٠من صفر ١٣٩٦هـ الموافق الأول من مارس ١٩٧٦م .

ثم خلفه فى الإمامة والرياسة فضيلة الشيخ/ عبد اللطيف مشتهرى إبراهيم ، فجمع بأسلوبه المشوق السواد الأعظم من شعب مصر فى ساحة الجمعية ، ونهضت فى عهده مشروعات الجمعية وظل فى جهاده ودعوته الإصلاحية إلى أن انتقل إلى رحمة الله يوم الإثنين غرة ربيع الآخر ١٤١٦هـ الموافق ٢٨ من أغسطس ١٩٩٦م .

وتولى بعده العالم المجاهد فضيلة الشيخ/ محمود عبد الوهاب قايد ، وكان يجهر بالحق لا يخاف فيه لومة لائم ، ومع قصر مدته في الإمامة كان له أثر فعال في ميدان الدعوة والعمل الصالح ، وكانت وفاته يوم الأربعاء ٦ من صفر ١٤١٨هـ الموافق ٧ من أبريل ١٩٩٨م .

وتسلم بعده الإمامة والرياسة فضيلة الأستاذ الدكتور/ فؤاد على مخيمر ، الأستاذ بجامعة الأزهر ، فتابع مسيرة الدعوة في الجمعية مواكبة للعصر في أحداثه العالمية والمحلية ، وأولى المشروعات الاجتماعية اهتمامًا بالغًا ، وظل يباشر مسئوليته حتى انتقل إلى رحاب ربه صباح يوم الجمعة ١٣ من صفر ١٤٢٣هـ الموافق ٢٤ من أبريل ٢٠٠٢م .

وخلفه في إمامة أهل السنة ورياسة مجلس الإدارة فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد المختار محمد المهدى ، الأستاذ بجامعة الأزهر ، والتزم سنن الأئمة السابقين ، والتقى بجميع الإداريين

في مختلف الفروع ، وحرص على تأصيل العمل الدعوى ، وضبط العمل الإدارى ، والاتصال المباشر مع جميع المسئولين لتذليل أى عقبة تعترض مسيرة الجمعية .

وقد عاون هؤلاء الأئمة كثير من العلماء المخلصين الأثبات من أمثال : **الشيخ/ على حلوة** ، **والشيخ/ أحمد عاشور** ، **والشيخ/ عليان على عمار** ، **والشيخ/ مصطفى مجاهد** ، **والشيخ/ أبو القاسم إبراهيم** ، **والدكتور/ محمد أحمد على سحلول** .. عليهم جميعًا رحمة الله ورضوانه ، وحشرهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وألحقنا بهم غير خزايا ولا مفتونين ، ولا مبدلين ولا مغيرين .

موقف الجمعية من التصوف

التصوف فى حقيقته الإسلامية هو الزهد والتقوى ، والذكر الدائم لله فى كل حالات العبد ، والبعد عن الشبهات ، والاكتفاء بالضرورات ، وتحرى الحلال فى المطعم والمشرب والملبس والمسكن ، مما يؤدى بالعبد إلى مرتبة الولاية ، كما قال رب العزة : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ ، فإذا التزم المؤمن سبيل التقوى فى كل أعماله ، وأقواله ، تولاه الله بحفظه ورعايته ، ييسر أمره ، ويوسع رزقه ، ويفرج كربه ، ويسهل له طرق الخيرات ، ويعد له مقامًا كريمًا فى جنات الخلد والنعيم ، وذلك بعض ما تشير إليه الآية : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .

وهذا المسلك هو ما تدعو إليه الجمعية الشـــرعية ، وتحـــث عليه فى كل مناهجها الدعوية .. وقد كان إمامها المؤسس الشيخ/ محمود خطاب فى أول أمـــره – كما أســـلفنا – **خلوتيًا** ، كما كان – رحمه الله – حريصًا على قيام الليل ، بل أثر عنه أنـــه كـــان يصلى بالليل مائة ركعة ، وقد تقدم أنه لم يرض أن يأخـــذ مـــن الأزهر فى أثناء تعلمه ما كان مقررًا لزملائه فـــى " الجرايـــة " نظرًا لأنه كان ميسور الحال ، وأبوه عمدة ، فلم يشأ أن يأخذ حق غيره من المحتاجين .

كل ما اعترض عليه الشيخ وتبعته الجمعية الشرعية ، هو ما خالف شرع الله مما ارتبط بالطرق الصوفية ، مثل إقامة الموالـــد وما يكتنفها من مفاسد ومظاهر شركية : مـــن الطـــواف حـــول الأضرحة ، وسؤال أصحاب هذه الأضرحة أن يساعدوهم ، وأن يلبوا طلباتهم ، مع أن زيارة القبور مـــا شـــرعت إلا للعظـــة ، والدعاء للأموات ، لا لطلب مساعدة الأموات ، وما كان الطواف إلا للكعبة ، وما كان السؤال إلا لله وحده .

ثم كان اعتراض الشيخ على ورثة المتوفى ، الذين يقيمـــون الأضرحة والموالد ، لتأتيهم الهبات والصدقات ، ويتحولوا إلـــى متسولين مرتزقة ، يفرضون إتاوات على المريدين ، وهـــذا مـــا يتنافى مع مبادئ الدين التى تجعـــل أفضـــل ما يأكله العبد مـــن عمل يده .

كما كان اعتراض الشيخ على رفع الصوت بالذكر ، قيامًـــا مرة وقعودًا مرة فى حركات استعراضية ، لا تتم عن خشـــوع ، ولا تضرع ، وهذا ما يتنافى مع قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ ، ومع قول رسول الله ﷺ لأصحابه الذين رفعوا أصواتهم بـــالتكبير : « أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا أبكم إنكم تدعون سميعًا بصيرًا » .

وكان مما لا يرضاه الشيخ أن تشد الرحال إلى المساجد التى بها أضرحة ، سواء كان ذلك فى أيام الموالد ، أو فى غيرهـــا ، ذلك أن شد الرحال والسفر للعبادة ، لابد أن يكون فى هذا المكان الذى يسافر العبد إليه فضلاً على غيره ، وقد بيّن لنا المصطفى ﷺ

أن هذه الأماكن محصورة فى ثلاثة ، حين قال ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » ، وبيّن فضل الصلاة فى كل مسجد من هذه المساجد ، فكل رحلة إلى غيرها ابتغاء فضل من الله باطلة بمقتضى الحصر فى كلام رسول الله ﷺ .

جاء فى مقدمة " **الدين الخالص** " : لقد سمع الشيخ الأذكار المحرفة ، ورأى الألعاب البهلوانية ، وشاهد من يتظاهر بأكل النار ، والحيّات ، والزجاج ، وعاين الضرائب التى يجبيها مشايخ الطرق من مريديهم كأنها أموال أميرية ، وأبصر النذور والهدايا تقدم إليهم كأنها مسوقة إلى حرم الله ، أو مبذولة إلى عيال الله الفقراء والمحاويج ، فحمل عليهم الشيخ الإمام حملة شعواء ، وأبان للعامة أنهم على غير هدى ، وأن ما يقدم إليهم سحت وحرام ، وكل لحم ودم نبتا من حرام فالنار أولى بهما ، وأن الطرق الصوفية ليست حِرَفًا ولا مِهَنًا ، بل هى بهذه المفاسد شارة سوداء تشوه جمال الدين ، وتجعل أعداءه ينظرون إلينا نظرة السخرية والازدراء ، فى حين أن الدين من هذه المظاهر براء .

وإذن ، فليس بين الجمعية الشرعية ، والتصوف الحقيقى عداء ، ولكنها تدعو أرباب التصوف إلى تنقيته من هذه المظاهر التى تشوه وجهه ، وتجعل الشباب الواعى ينصرف عنه وهو أحوج ما يكون إليه ، حيث السبحات الروحية التى تنقى النفس من أدرانها ، وتوقظ القلب من غفلاته وغفواته ، وتصل المرء بخالقه ورازقه .

وقد أعلن كثير من قادة الطرق ، وزعماء التصوف ، أنهم بريئون من هذه المفاسد والمظاهر التى ترتبط بالموالد والأضرحة ، وأنهم يحاولون القضاء عليها ، وفقهم الله وأعانهم حتى تجتمع القلوب على منهج رسول الله ﷺ وصحبه الأبرار .

الجمعية الشرعية والجمعيات الإسلامية

كل من يعمل للإسلام بصدق وتجرد ، فهو الصديق الصدوق مهما كانت وسائله مختلفة عن نهج الجمعية الشرعية ، مادامت الأهداف واحدة ، والثوابت الإسلامية ملتزمة ، نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه ، كما قال الإمام محمد رشيد رضا : " لا ندعى أننا الوحيدون على الساحة الإسلامية ، ولا نصف غيرنا بالابتداع أو الانحراف ، ونقبل الحوار البناء ، وندعو إلى التعاون بين كل العاملين بالكتاب والسنة فى الدعوة إلى الله على بصيرة ، وباللين والحكمة ، والبعد عن الحكم على النوايا والضمائر ، فلنا الظاهر والله يتولى السرائر ، نهيب بإخواننا الدعاة أن يُعنوا بالتربية الإيمانية والخلقية لنشئنا المحوط بوسائل الغزو الفكرى من القنوات الفضائية ، والسماوات المفتوحة ، ووسائل الإعلام المضادة للإسلام والمسلمين ، هذا النشء الذى يحتاج إلى تحصينه بالعقيدة والخلق ، وإلى تجميع طاقاته ، وتوحيد صفوفه بعيدًا عن التعصب المذهبى ، والخلاف

الفقهى ، فالخطر محدق ، والتآلف ضرورة ، ونـــرفض العنـــف والفظاظة والغلظة ، فلسنا أفضل من رسول الله حين قال له ربه : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ، ونؤمن بأن الاندفاع وتعجل النصر والهداية ، لا يمت إلى الإسلام بصلة ، إن للنصر موعدًا لا يخلفه رب العزة ، وكثيرًا ما أشار القـــرآن الكريم إلى هذه الحقيقة ، طالبًا من أتباعـــه أن يصـــبروا ، وألا يظنوا أن الهدى سيأتى من قبلهم وبجهدهم ، فقال سبحانه : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ، وقال : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ ، وقـــال : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ ، إن الرســـول ﷺ كان أشد حرصًا على هداية قومه ، بل إنـــه كـــاد يعرض نفسه للهلاك من أجل هذا الحرص ، فنهاه ربه عن ذلك ، وقال : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ ، وقال : ﴿ طه ۞ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۞ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ ، وقال : ﴿ إِنَّمَآ

أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ ، وقال : ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ ، إن البلاغ المبين هو المطلوب شرعًا من المصلحين ، اقتداء بسيد المرسلين ، كما أن عليهم الاستمرار فى التذكير والتبليغ ، وألا ييأسوا من روح الله ، وأن يقدموا العذر إلى الله بدعوتهم التى لا تكلّ ولا تهن ، وقد وعدهم الله إن أراد أن يهلك هؤلاء المعاندين المكذبين أن ينجى الدعاة والمصلحين ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ، بل قد جعل الله نجاة الأمة من نقمة الله مرتبطة بوجود الدعاة والمصلحين ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ .

مشروعات الجمعية والتأصيل الشرعى

لما كان شعار الجمعية المعلن هو التعاون بين العاملين بالكتاب والسنة ، كان لابد أن يترجم هذا الشعار إلى واقع معاش يتجمع حوله المخلصون ، ويبذل فيه الصادقون ما يبرهن على إيمانهم .

وكان اختيار الأعمال الصالحة قائمًا على مبدأ إحياء فروض الكفاية فى الأمة ، فمن المعلوم شرعًا أن المؤمنين جميعًا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ، وأنه لا يؤمن أحد حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ، وأن من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم فليس بمؤمن ، وإذن فقضاء حاجات وضرورات العجزة والمرضى والفقراء واليتامى والمساكين ، فرض كفاية على الأمة ، إذا قام به أحد أسقط الاثم عنها وأخذ ثوابها ، وإن لم يقم به أحد أثمت الأمة كلها ، وتطبيقًا لذلك على الواقع العملى ، تبين للجمعية أن أهم شريحة مهملة من

الرعاية هى شريحة الأيتام ، فبدأت مشروع الكفالة ، واختارت الاسم الذى عبر به المصطفى ﷺ حين قال : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا (وأشار إلى السبابة والوسطى) » ، ذلك أن هناك فرقًا واضحًا بين إطعام اليتيم وكفالته ، فالإطعام خاص بالنفقة المادية ، أما الكفالة فمعناها الحقيقى أن يضع الكافل نفسه مكان الأب المتوفى ، وبما أن الإسلام يوجب على الآباء نحو أبنائهم مهمتين أساسيتين هما التربية والنفقة ، من حيث إن الإنسان مكوّن من جسد وروح ، وللجسد متطلباته الغذائية من المنبع الذى خلق منه وهو الأرض وما يخرج منها ، وللروح متطلباتها الغذائية أيضًا من المنبع الذى صدرت عنه كما يفهم ذلك من قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّى ﴾ ، وقوله : ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ ، وما جاءنا من عند الله هو الوحى الذى يمثله كتاب الله وسنة رسوله ، فلابد إذن من تربية هؤلاء اليتامى على هذا المنهج ، حتى تتحقق الكفالة الشرعية ، لهذا تهتم الجمعية بلقاء الجمعة ، وبتحفيظ القرآن لهؤلاء اليتامى ، ولغيرهم فى مكاتب تتميز بالجدية وبالشكل الحضارى اللائق .

ثم إنها من الوجهة الشرعية فى توزيع أموال الزكــاة تقسـم اليتامى إلى ثلاثة أقسام ، القسم الأول : ما ليس له مورد ســوى الجمعية ، وهؤلاء يدخلون فى مصرف الفقراء ، بل هــم أولــى حيث يجتمع عليهم الفقر واليُتم ، والقسم الثانى : ما له مــورد لا يكفى الضرورات ، فهؤلاء يمثلون مصرف المساكين ، والقســم الثالث : ما له مورد يكفيه من معاش أبيه ، أو من ميراثه ، فهذا محتاج إلى التربية أكثر من غيره ، حتى لا يكون المال فى يــده أداة لانحرافه ، فتسعى الجمعية إلى ضمه للمشروع مــن أمــوال صدقات التطوع لا من أموال الزكاة ، وهكذا فى كل مشروعات الجمعية لابد من مراعاة الجانب الشرعى فمثلاً حينما استشــعرت حاجة الفقراء والمساكين إلى الأشعة التشخيصية بأنواعهــا مــن الرنين المغناطيسى إلى الأشعة المقطعية ، وكلتاهما بأثمان لا تتفق مع دخول الفقراء ، أقامت مركزًا لهذه الأشعة مجانًا بلا مقابل ، لكل من يرى فى نفسه أنه من مستحقى الزكاة ، وعلى هذا النسق كان مشروع الغسيل الكلوى ، ومشروع علاج الأطفال المبتسرين ناقصى النمو ، ومشروع إقامة مقابر شرعية على نظام اللحــود الذى هو الأفضل ولا يطبق فى مدافن مصر ، وسيتبع ذلك بمشيئة

الله إنشاء مستشفى للحروق ، وآخر لعلاج المدمنين ، وثالث لعلاج الأورام ، وهكذا .

فضلاً عن رعاية طالب العلم ، وتشغيل أمهات اليتامى ، وتزويج الفتيات اليتيمات ، ورعاية المعوقين ، وإسكان المغتربات

وقد رزق الله الجمعية ثقة أهل الخير ، فلم يبخلوا عليها بما آتاهم الله من فضله ، وثقة أهل الحاجة ، بما رأوه من أمانة العطاء ، وثقة رجال الدولة بما تحقق لديهم من صدق التوجه وإخلاص القصد لله ﷻ .

منهج العمل الصالح للجمعية

مما لا جدال فيه أن الإيمان والعمل الصالح مقترنان فى كتاب الله ، من حيث إن العمل الصالح ثمرة ونتيجة لهذا الإيمان ، ومن حيث إن هذا العمــل مادام صالحًا فهو دعوة عملية لهذا الدين ، والعمل الصالح لا يقتصر مجاله – فى مفهوم الإسلام – على مساعدة المحتاجين واليتامى والمرضى ، إنما يستهدف – فى النظرة البعيدة والعميقة للإمام المؤسس – مصلحة الأمة وتحقيق فروض الكفاية ، وإقامة الصناعات الضرورية لحماية المجتمع من مد يده إلى أعدائه ، إذ لابد لأى مجتمع حر أن يكتفى ذاتيًا فى ضروراته وحاجاته ، وبما أن الضرورات الإنسانية تشمل المطعم والمشرب والمسكن والملبس والعلاج والسلاح الذى يدافع به عن حريته ، فقد نظر الإمام حين أنشأ هذه الجمعية فوجد الملبس مرتبطًا بمصانع أعداء الأمة فأقدم على إنشاء مصنع للمنسوجات

الشرعية الوطنية توزع منتجاته فى مركز الجمعية الرئيسى وفروعها المنتشرة فى القطر ، فكان ذلك منه كما قال : " رمزًا للنهوض بالمسلم الوطنى فى مصاف أبناء الغرب الذين يأخذون نبات التربة المصرية من قطن وكتان وغيرهما بأبخس ثمن ويردونه إلينا منسوجًا ، الدرهم منه بعشرات الدنانير " ، وقد وجه الإمام إلى كل مواطن نداءه العظيم بقوله : " إن منسوجات الجمعية الشرعية من قطنك وكتانك أيها المسلم الوطنى فلا ترى فيها حـــريرًا فى حين أنها أجود من الثياب الحريرية ، ولا تقلّ عنها نعومة ، وهى تنأى بلابسها عن الحرام والمكروه وما فيه ريبة واشتباه ، فالبس منها يا ذا العقل الراجح " .

وقد ظلت هذه المنسوجات سنين طوالاً ، وما استغنت عنها الجمعية وعن مصنعها إلا بعد أن توافرت المنسوجات الوطنية الأخرى ، فقد أدت مهمتها فى إيقاظ الأمة إلى ما فيه استقلالها وحريتها ، وكان ذلك يسير جنبًا إلى جنب مع رعاية الفقراء

والمساكين واليتامى والأرامل والمعوزين على قدر الإمكانيات المتاحة للجمعية فى ذلك الحين .

هكذا كان فكر الإمام المؤسس ، من المهم أن يقف عليه إخواننا الذين ينضمون حديثًا إلى الجمعية الشرعية ، ويسمعون أن مشـــروعات العمل الصالح التى انتشـــرت - بفضل الله - فى جميع أنحاء الجمهورية ، تسد حاجات الأمة وترفع الحرج عنها فى تلبية متطلبات اليتامى والمرضى والضعاف ، وتسعى إلى اكتفائها ذاتيًا بمنتجاتها المحلية حتى لا تتعرض الأمة إلى ذل السؤال أو الاعتماد على العدو .. يسمعون من المغرضين أنه عمل جديد طرأ على رسالة الجمعية .. والنداء الذى وجهته الجمعية الشرعية منذ سنوات إلى الزارع والصانع والتاجر والمستهلك وأصحاب المشروعات من أغنياء المسلمين .. لا يخرج عما نادى به الإمام المؤسس رمزًا للنهوض بالمسلم الوطنى .. ومشروع تشغيل أمهات اليتامى فى إنتاج الملابس

وبيعها بقيمة تكلفتها الحقيقية يسير فى طريق الاستغناء عن الاستيراد الذى يكلف الدولة من العملة الصعبة ما تضج منه ، وهو وسيلة للتغلب على نظام (الجات) الذى أوشك تطبيقه على مجتمعاتنا النامية ، والذى ينتظر أن تكون له آثار سلبية خطيرة .

ندعو الله أن يجنب أمتنا أخطار أعدائها ، وأن يجمع شملها على كتاب ربها وسنة نبيها ومنهج سلفها ، حتى تنهض عزيزة راشدة تقود البشرية إلى مرفأ الأمن والإيمان .

إنه ولى ذلك والقادر عليه .

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين

إمام أهل السنة

والرئيس العام للجمعيات الشرعية

أ.د. محمد المختار محمد المهدى

الأستاذ بجامعة الأزهر